في اللغة أبناء عَلاّت

كما في البشر

كما يكون في العائلات البشرية بنو عَلاّت أي أولاد لأبٍ واحد ولدوا من أمهات شتى كذلك في اللغة العربية « أبناء عَلاّت » أو نقول « مشتقات عَلاّت » .

نرى طائفة من الكلمات ذات وحدة في مادتها وحروفها فإذا تقصَّيت عن أصل المادة التي اشتقت منها أو تولّدت منها مجموعة تلك الكلمات رأيتَ أن ذلك الأصل تارةً يكون عربياً من وضع العرب الأقحاح فولد ألفاظاً عربية قحة وتارةً تجده من لغة الفرس مثلاً وقد ولد ألفاظاً فارسية استعربت بلسان العرب وأصبحت مع الألفاظ العربية المشاركة لها في المادة إخوة مندمجة في أسرة لغوية واحدة : متحدة الأب مختلفة الأم .

ولا يتضح هذا في النفس ما لم نُلِمّ ببعض الشواهد عليه :

— ١ —

« مَرْج »

مادة مَرْج : قد تكون أمّاً عربية لعدة كلمات اشتقت منها أو تولدت منها ، نرى في كتب اللغة أن تلك المادة أي مادة « مرج » تدل في أصل معناها على القلَق والاضطراب كما في اللسان ويلزم من اضطرابِ الشيء وقلقِهِ فسادُه وعدم صلاحيته للانتفاع به . فكان الفساد من معاني المَرْج . ولا شيء من أقوال اللغويين يدل على أن « المرج » بهذا المعنى فارسيُّ الأصل فهو إذن عربيٌّ محض ، وقد اشتق منه مشتقات عربية كثيرة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — مَرِج الخاتم في إصبعي مَرَجًا قلق . وكذلك السهمُ يُقلقه الدم اللاصق به فتختلُّ حركته ويطيش ويسقط يقال سهمٌ مريج . واذا كان السهم أعوجَ ملتويًا قيل فيه أيضًا سهمٌ مريج . ولا غرو فإن « المَرج » يكون بمعنى الفساد كما مرَّ واعوجاج السهم والتواؤه فساد فيه . ومما يدل على أن معنى الفساد في كلمة المَرَج مأخوذ من معنى القلَق في الخاتم قولُ صاحب النهاية « مَرِجَ الدينُ فسد وقلقت أسبابه » . وكذا الأمر والعهد والأمانة يقال فيها مرِجت اذا فسدت .

٢ — ومن مشتقات « المرْج » العربي قولهم « مَرَج فلانٌ أمرَه يمرُجه » إذا ضيعه : فهو منه في قلقٍ واضطراب . ورجل مِمراج يمرُج أمورَه ولا يُحكمها فهي قلقة مضطربة .

٣ — ومن سلالة « مَرْج » العربية أمرَجتْ الناقة فهي مُمرِجة إذا ألقت ولدها قبل تكوُّنه جنينًا . فهذا من « المرج » العربي الذي معناه الفساد .

مادة مَرْج الفارسية : هي أمٌّ أعجمية لطائفةٍ من الكلمات العربية اشتُقت منها أو تولدت منها : جاء في المخصص لابن سيده (جزء ١٠ ص ١٢٧) مانصه : « والمَرْج الأرضُ المغيضةُ الواسعةُ التربة المِمشاب . وأصله فارسي . وقد جرى في كلام العرب وصُرِّف . قال العجاج — ووصف عَيْرًا وأتُنًا — « وقد رَعى مَرْجَ ربيعٍ مُمرَجًا » . « والمَمرَج المَرْعيُّ » انتهى قول ابن سيده .

والأصل الفارسي الذي عرَّب العرب منه كلمة « مَرْج » هو « مَرْغ » بفتح الميم وسكون الراء والغين المعجمة . وقد فسر شمس الدين سامي في قاموسه التركي كلمة « المرغ » بكلمة « چاپر » التركية . وتفسر المعاجم التركية كلمة « چاپر » بالمرْج وبالمرْعى . فلم يبق شك في أن « مَرْج » العربية التي معناها مَرْعى الدواب معرَّبة من « مَرْغ » الفارسية . عُرِّبت في زمن الجاهلية . واستُعملت في كلامهم كسائر ألفاظهم الفحة العربية الأصل . ثم إن « مَرْج »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفارسية هذه ولدت أولاداً ومشتقات عِدَّة : قال صاحب الصَحاح في تفسير معنى « المَرْج » الفارسية ما نصُّه « المرج الموضع الذي تُرعى فيه الدواب » وزاد عليه صاحب اللسان قوله « مَرَجَ الدابةَ يمرُجُها اذا أرسلها ترعى في المَرْج » . فدلَّ بقوله « ترعى في المرج » على أن فعل مَرَج الذي هو بمعنى أرسل إنما اشتُق من كلمة « المرْج » الفارسية . وزاد هذا القول تثبيتاً الشيخ الفيومي المصري [1] في مصباحه : ونصه « المرْج أرضٌ ذات نباتٍ ومرعى . ومَرَجتْ الدابةُ رعت في المرج ومَرَجتُها أنا أرسلتُها ترعى في المرج » فانظر كيف أن كلمة « المرج » الفارسية دخلت في تفسير معنى فعل « مَرَجَ » الدابة المعرَّب الذي كادوا يجمعون على أن معناه إرسالُها في المرعى .

وليس هذا فقط بل إن « مَرَجَ » بمعنى أرسل الدابة استعمله العربُ في معنى مجازي وقد جاء بهذا المجاز الوحي الإلهي : ففي التنزيل في سورة الرحمن : « مَرَجَ البحرين يلتقيان » قال الإمام الطبري شيخ المفسرين : « يقول تعالى ذكره : مَرَج ربُّ المشرقين وربُّ المغربين البحرين يلتقيان : يعني بقوله مَرَجَ أرسلَ وخلَّى من قولهم مَرَجَ فلان دابته إذا خلاَّها وترَكَها » وذكر سند هذا التفسير فأوصله الى ابن عباس . ثم انتقل الطبري الى تفسير المراد من إرسال البحرين . فقال إن معنى إرسالِها إطلاقُها يجريان حتى إذا التقيا وقَفَ كل واحد منهما عند حدود برزخه فلا يبغي أو يطغى على الآخر » . فمَرَجَ

---

(١) قال بعض الاخوان ان الفيومي صاحب المصباح ليس مصرياً وانما هو عراقي . والفيوم التي نسب اليها هي مدينة في العراق مسماة باسم الفيوم المصرية : جاء في معجم البلدان عند ذكر فيوم العراق ما حاصله: طاح أعرابي « أي ضل في البلاد » فمرض فقصد الفيوم للاستشفاء فوصفوا له دهن البنفسج فقال :

« عجبت لمطارٍ أتانا يسومنا بدسكرة الفيّوم دهن البنفسج »
« فويحك يا مطار هلا أتيتنا بضغث خزامى أو بخوصة عرفج »

يريد انه إنما يشفيه عقاقير بلده لا دهن البنفسج « البنفشه » الفارسي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البحرين في الآية بمعنى أرسل . وهذا إرسالٌ مجازي . أما الإرسال الحقيقي ففي إرسال الدابة طليقةً في المرعى كما لا يخفى .

فقد تحصل معنا أن كلمة « مَرْج » التي معناها المرعى فارسية الأصل وأن من أولادها اللواتي اشتُقت منها مَرَجَ الدابة إذا أرسلها في المرج لترعى ومَرَجَ البحرين أرسلهما تعالى فيلتقيان ولا يبغيان . على ان اللسان يقول أيضاً : « والمرجُ الخلطُ ومَرَجَ الله البحرين خلطهما حتى التقيا » فيكون للمرج في الآية معنى غير الإرسال . لكنه مأخوذ أيضاً من الأصل الفارسي أعني اختلاط الدواب في المرعى .

٢ — ومن مشتقات « مَرْج » الفارسية قولُ العرب « مَرِج الناسُ » اذا اختلطوا اختلاطَ الدواب التي تُخلّى في المرعى فتسرح حيث شاءت .

٣ — ومنها « رجل مَرّاج » قال صاحب اللسان : معناه أنه يزيد في الحديث . وهذه الزيادة خلط بين شيئين : فلا جرم أن يكون « مرّاج » هذا من « مَرْج » الفارسية التي تختلط فيها دواب الرُعاة في المرعى . ويقولون أيضاً فلان سرّاج مرّاج أي كذاب [1] .

مشتقات أخرى

يحتمل أن تكون من نتاج « مرج » العربية أو « مرج » الفارسية

١ — مَرِج الأمرَ مَرَجاً اختلط والتبس على الناس فلم يعودوا يعرفون وجه الصواب فيه « فهم في أمرٍ مريج » كما في التنزيل . ويقال « غصنٌ مريج » ملتوٍ مشتبك قد التبست شناغيبه . ويلزم من التباسه على هذا الشكل فسادُه وعدم الانتفاع به . فالمرج بهذا المعنى مأخوذ من الأصل العربي الذي هو بمعنى

(١) وهنا يصح السؤال عما اذا كانت كلمة « مرّاج تصلح ان تقوم مقام كلمة شارلاتان « charlatant » الفرنسية اولا ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« القلَق والاضطراب » . أو يقال هو من الأصل الفارسي الذي معناه « تخلية الدواب في المرج مختلطةً تسرح كيفما شاءت » إذ أن التباس الأمر واختلاط وجهات النظر فيه يشبه اختلاط الدواب في المرعى وتسرّبها أنى شاءت : فلا يعود النظر يقدر على تعيين وجهةِ كلٍ منها ، أو أن الرعاة لا يكادون يميزون بين دوابهم بعضها من بعض : ففعل « مَرجَ الأمر » بمعنى التبس واشتبه يحتمل أن يكون متولداً من الأصل العربي بمعنى الفساد والقلق ، أو من الأصل الفارسي وهو اختلاط الدواب في المرعى .

٢ — « المرْج » بمعنى الفتنة يحتمل أن تكون من مَرَجَ الدوابُّ في المرعى مختلطةً تفعل ما تشاء ويذهب كلٌّ منها أنى شاء لا راعي لها ينظّم حركاتها كما يحتمل أن تكون من قلَق الخاتم في الإصبع واضطرابه . وكذلك الناس في الفتنة مضطربون في أعمالهم قلِقون في معايشهم ومشاغل حياتهم .

٣ — « مارج من نار » يحتمل أن يكون من « مَرج » العربية بمعنى القلق والاضطراب : فقد فسروا المارج بالشُعلة الساطعة ذات اللهب الشديد « فهي دائماً في قلق وارتعاش بالطبع » — ويحتمل أن تكون من « مَرْج » الفارسية بمعنى المرعى الذي تختلط فيه الدواب . وكذلك المارج الذي قيل في تفسيره أيضاً « مارج النار لهبها المختلط بسوادها » كما في اللسان ، فالمارج يختلط فيه النور بالدُخان كما تختلط الدواب في المرْعى .

***

وكأني بقائلٍ يقول : إذا صحّ ما نُقل عن ابن سيده من أن كلمة « مرج » فارسية الأصل وقد عربها العرب وصحّ من جهةٍ أخرى أن هناك كلمات من مادتها لم تُجعل مشتقة من هذه الأم الفارسية بل من أم عربية — فلماذا هذا الجعل والتفريق ما دمنا نرى في هذه الكلمات المنسوبة الى الأم العربية معنى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاختلاط والفساد الموجود في الأم الفارسية نفسها أعني كلمة «المرج» : فمعاني الكلمات التي ظُنَّ أنها عربية نُرجعها كلها الى معنى القلق والاضطراب والفساد . وما الفرق بين هذه المعاني وبين معنى اختلاط الدواب في المرعى . فالمعقول «ما دام لا يوجد لعلماء اللغة رأيٌ صريح في المسألة» أن تكون مادة «م ر ج» فارسية محضة ويرجع معناها الفارسي الى المرعى واختلاط الدواب فيه . ثم تفرّعت من تلك المادة الأعجمية الواحدة مشتقات : عربية الأب فارسية الأم وقد حملت معاني منها الحقيقي ومنها المجازي وترجع كلها الى المعنى المستفاد من الأصل الفارسي .

ونحن لا نوافق القائل على قوله هذا من إرجاع معاني «المرج» كلها الى الأصل الفارسي وحده : لأن علماء اللغة الذين صرحوا بأن «المرج» بمعنى المرعى فارسي هو ومشتقاته لم يصرحوا كذلك في «المرج» ذي المعاني الأخرى : فهذا صاحب اللسان يقول «وأصل المرج القلق» فكيف نقول بعد هذا النص وبعد تصريحه بكلمة «أصل» أن معنى القلق يرجع الى معنى «المَرْج» الفارسي وهو المرعى ؟ إذن نبقى على رأينا من أن ألفاظ هذه الأسرة اللغوية بعضها يرجع الى أمٍّ عربية ، وبعضها يرجع الى أمةٍ فارسية ، وبعضها اشتبهت نسبته والتبست طينته فيبقى مجهول النسب .

— ٢ —

«البزر»

مادة «بزر» عربية . ولها مشتقات ذات معانٍ مختلفة مسرودة في معاجم اللغة تؤلف أسرة واحدة ، وقد تخلّل مشتقات هذه الأسرة لفظ غريب عن الأسرة لا شبهة في عجمته أو فارسيته ، وقد اشتُق من هذا اللفظ الفارسي مشتقات . وبذلك أصبحت مجموعة مشتقات مادة «ب ز ر» أبناء عَلّات : منها ما يرجع الى أمٍّ عربية ، ومنها ما يرجع الى «أم وَلَد» فارسية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« الأصل العربي أو الأم العربية » : قال ابن سيده « البَيْزَر » بفتح الباء وكسرها كلّ حبّ يُبزَر للنبات . واستُعمل مجازاً في الأولاد . يقال ما أكثر بَزْر فلان . والمبزور هو الرجل الكثير الولد . والبزراء المرأة الكثيرة الولد » اهـ وفي الحجاز اليوم يسمون الأولاد « بزورة » .

٢ — ومن أولاد الأم العربية كلمة البَزْر بمعنى المخاط . وبَزَر فلان يبزر اذا امتخط .

٣ — ومنها « البيزْر » بكسر الباء وفتحها والكسر أشهر — التابَل وهو « ما يؤكل مع الطعام لهيج شهوته » وجمعه أبزار وأبازير ، والى هذا البزر يُنسب « سوق البزورية » وهو أشهر أسواق دمشق في بيع الأبازير كالحمزاوي في القاهرة .

٤ — ومن مواليد مادة « بزر » العربية بَزَرَه بالعصا إذا ضربه بها . والعصا نفسها تُسمى البَيْزارة والبَيْزَر والمِيزَر . هذا اسم العصا بشرط أن تكون عظيمة ضخمة . ومنه قول القائل (ض) في وصف وقعة الجمل : « ما شبّهتُ وقع السيوف على الهام إلا بوقع البَبّازِر على المواجن » : فالبيازر العِصيُّ الضخام . أما « المواجن » فجمع مِيجنة وهي عَصا القصّار أو مُدُقّته أعني خشبته التي يدقّ بها أو تقول يَبزُرُ بها الثوبَ في الماء لينظُف ، وتسمى الميقعة أيضاً . كما ان الميقعة والمِمْطل تستعملان في مطرقة الحداد .

ولي هنا إشكال لم أهتد الى حلّه إلا بصعوبة ذلك انهم قالوا : البيازر هي العصيُّ الضخام التي تُتخذ مداقّ للقصارين ومثلها المواجن : فكيف يُنظف الثوب بدقّه بين عَصوَين ؟ فلم يبق إلا أن يقال ان البيازر يُدَقّ بها الثوبُ المبلول الذي يكون مُلقى على عصا أخرى وتكون العصا الأخرى عريضة صلبة وهي الميجنة : فالميجنة تارةً يُخبط بها وتارة يخبط عليها . أما البَيْزارة فهي التي يخبط بها لا عليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥ — قالوا ومن مشتقات «بزر» العربية ماجاء في حديث أبي هريرة : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً ينتعلون الشعر وهم البازِر» والبازر بتقديم الزاي على الراء ناحية في بلاد فارس : فقوله في الحديث وهم البازِر يعني أهل البازر قيل هم الأكراد اهـ . لكن التحقيق أن البازر بتقديم الزاي على الراء تحريف . وأن صوابه «البارِز» بتقديم الراء على الزاي ، وهذه الزاي تُقلب أحياناً سيناً فتصبح «پارْس» وپارس اسم بلاد فارس . وبالسين ينطقها أهل تلك البلاد بلغتهم اليوم كما لا يخفى كما ينطقها الفرنسيون پرس بلغتهم ، وقال لي صديق إيراني فاضل وهو محمد محيط الطباطبائي ان في هذه الناحية «التي سماها الحديث (بارِز) وهي بقرب كرمان» بلداً ما زال يسمى باريز الى أيامنا هذه .

«الأصل الفارسي» أو الأم الفارسية التي استولدها العرب أولاداً اندمجوا في أسرة «بزر» العربية ـ كلمة «البَيْزَرَة» وهي مهنة تربية جوارح الطير كالباز والشاهين والصقر . ويكون صاحبها عادة في خدمة الملوك والأمراء ويسمى «البازيار» و «البازدار» . وكلتا الأداتين : «يار» و «دار» فارسية تفيد معنى صاحب الشيء الملازم له والقيّم عليه والمولع به ، ومن هنا جاءت «يار» بمعنى العشق : فشهريار صاحب البلاد وهو الملك . وبَختيار صاحب البخت وهو المحظوظ السعيد في حاله وماله . وسنجقدار صاحب السنجق وبيرقدار صاحب البيرق وهو الراية . وهكذا يقال في معنى «بازدار» و «بازيار» صاحب الباز وحامله في الصيد والمتولي أمره . وقد اشتقوا من الأولى مصدراً فقالوا «البزدرة» وهي مهنته . وكذلك اشتقوا من البازيار «البزيرة» بتقديم الزاي ، لكن العرب لم يُبقوا على المصدر الأخير أعني «البزْيرة» بل تصرفوا فيه بعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعريبه[1] ، فقدموا الياء على الزاي وقالوا « البيزرة » كأنه مصدر « البايزار » ولم نسمعهم يقولون « البايزار » بتقديم الياء وانما يقولون « البازيار » لفظاً فارسياً مركباً من « الباز » و « يار » كما مر . و « يار » كما قلنا فارسية ألبتة ، أما « الباز » اسماً للطائر فظاهر أقوال علماء اللغة العربية أنه عربي كالبازي بالياء في آخره . ولم أرَ من صرح بعجمة الباز ، اللهم إلا شمس الدين سامي في « قاموسه » فقد قال أن الباز فارسي . والعرب وإن قالوا أن « الباز » عربي فانهم بعد تركيبه مع « يار » في « البازيار » يقولون عنها - أي عن البازيار - أنها أعجمية . هذا الشيخ الأزهري أقدم اللغويين يقول في كتابه « تهذيب اللغة » كما نقله عنه صاحب التاج « والبَيْزار الذي يحمل الباز ويقال فيه البازيار كلاهما دخيل اه » فهذا صريح بأن « البَيْزار » الذي هو مقلوب « البازيار » ويدلان على صاحب الباز - يعتبرهما علماء العربية من معرّبات اللغة ومن الدخيل فيها .

فتحصل معنا أن في مادة « بزر » أصلين أو أمّين إحداهما عربية بمعنى الضرب ومنه اشتُق فعل « بَزَر » أي ضَرَب ، وكلمة « البَيْزارة » أي العصا التي تخبط بها الثياب لتنظيفها . والأم الأخرى كلمة « بازيار » الفارسية بمعنى صاحب الباز . وقد استولدها العرب ولداً وهو « بَيْزار » بمعنى مربي الباز . وجعلوا من

(١) ولعل السر في ذلك ان صيغة « الفيعلة » في كلام العرب مصدراً هو الشايع المستعمل أما « الفعيلة » فلم يسمع أو هو قليل جداً . ويشبه هذا ما قاله « ابن فارس » في كتابه المسمى « كتاب النيروز » فانه سئل عن كلمة « النيروز » هل هي عربية وما وزنها ، فكتب كتابه هذا وضمنه الألفاظ التي جاءت على وزن « نيروز » كبيروت وبيقور الخ ، وقال في المقدمة ما نصه : « ولتعلم ان هذا الاسم - اي نيروز - معرب ومعناه اليوم الجديد وهو قولهم نوروز . إلا ان النيروز اشبه بأبنية العرب لأنه على مثال فَيْعول الخ » ويقول هنا اي في « بَيْزرة » التي قدمت فيها الياء ان صيغتها وبناءها اشبه بأبنية العرب من بَزْيَرة لأنه على مثال فَيْعلة كبَيْلجة وكَيْلجة وحَيْملة الخ الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البَيْزار مصدراً وهو البيزرة ، ومنها « كتاب البيزرة » ، بَيدَ أن الأصل العربي أُمٌّ وَلود تثور لها الكثير من الأولاد . أما الأصل الفارسي فأُمٌّ مِقلاتٌ تزور . لم تلد إلا النزر القليل .

- ٣ -

« عسكر »

هذا اللفظ أو هذه المادة « ع س ك ر » عَرَفها العرب في أصل لغتهم . واستعملوها في معاني خاصة . ثم عادوا فعرفوها من طريق اللغة الفارسية عندما سمعوا الفرس يقولون « لشكر » أي الجيش المحارب فاقتبسوا لشكر منهم وعربوها .

« عسكر العربية ومشتقاتها » قال صاحب اللسان : العسكرة الشدة والجدب . ثم استشهد على كونها بمعنى الشدة بقول طَرَفة بن العبد « ظلٌّ في عسكرةٍ من حبّها » أي ظلّ ذلك المحبّ في شدة من حب محبوبته . وقال آخر :

« عساكر تغشى النفسَ : حتى كأنني أخو سَكرةٍ دارت بهامته الخمرُ »

واذا قالوا عساكر الهمّ أرادوا ما رَكب بعضُه بعضاً وتتابع من الهمّ . ومن معاني العسكر العربية قولهم عَسْكَرُ الليل يعنون ظُلمتَه . ولا يخفى ما بين الشدّة والظلمة من التشابه والتناسب . فكلتاهما من معاني العسكرة العربية التي لا نزاع في عُروبتها بين علماء اللغة .

« عسكر الفارسية ومشتقاتها » قال في اللسان عطفاً على العسكرة العربية التي فسرها بالشدة ما نصه « والعسكرُ الجمعُ فارسي » ويعني بالجمع الجماعة من الناس . ولما كان الجيشُ المحارب جمعاً سموه عسكراً . لكن « عسكر » هذه المعرّبة لم تبق على ما كان يلفظها الفرس بلغتهم . فان العسكر بلغتهم « لشكر » باللام فعرّبها العرب الى « عسكر » بقلب لامها عيناً وأدمجوها في لغتهم العربية واشتقوا منها مشتقات أكثر مما اشتقوا من صَرْتها « عسكر » العربية بل قد توسعوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في عسكر الفارسية الى أبعد حد : فسموا الجمع من الرجال عسكراً وكذا الجمع من الخيل والكلاب . واذا كان للرجل مال ونَعَم سموا جمعَ ماله ونَعَمه عسكراً ، حتى قال شاعرهم :

« هل لكَ في أجرٍ عظيمٍ تُؤجَره تُعين مسكيناً قليلاً عسكره »

أي إنه لا يملك مالاً ولا أنعاماً ولا ماشية : فهو قليل العسكر ، كل ذلك من حسن تصرُّفهم في تلك اللفظة الفارسية التي تبنوها ، وانتفعوا بما استولدوه من بزورها ، وكما اشتقوا من « أندازه » الفارسية بمعنى المقياس فعل « هَندَس يهندس هندسةً » اشتقوا من عسكر الفارسية فعل عسكروا [1] بالمكان اذا تجمعوا فيه . فهم معسكرون . والموضع ينزل فيه العسكر يسمى معسكراً بفتح الكاف .

وهنا ينبري لنا القائل الذي سبق أن اعترض على رأينا في مادة « مرج » والتفرقة بين عربيتها وفارسيتها فيقول : لا يوجد « عسكر » في أصل اللغة العربية وانما هي ـ أي عسكر ـ كلمة فارسية فقط ، وقد عرَّبها العرب فاستعملوها في معناها الفارسي وهو الجمع والجماعة والجيش . ثم تصرَّفوا فيها وتجوَّزوا ما شاءوا وشاء استبدادهم : فاستعملوها بمعنى الشدة وجعلوا للشدائد والهموم والظلمات عساكر وجيوشاً تتلاحق على التجوُّز . فليست هذه المعاني أي الشدائد والهموم والظلمات ـ لكلمة « عسكر » العربية التي زعمتموها ولا وجود لها وإنما هي من المعاني المجازية لعسكر الفارسية : فالعسكر كالمرج كلتاهما فارسيتان عرَّبها العرب واستعملوهما في معانٍ حقيقية ومعانٍ مجازية .

---

(١) ولعل في هذا المعنى جاء قول الشاعر :

« كأنَّ خزامى بالعقوَين عسكرَتْ بها الريح وانهلْ عليها ذهابها »

« تضمنها بُردا مُليكة إذ غدتْ وقُرِّبَ للبين المشتّ ركابها »

أقول: ان البيتين في كتاب « النبات » للدينوري وهما أيضاً في معجم البلدان ٣/٦٩٩ فمعنى « عسكرت » فيها ان الريح أقامت وتتابعت وكثر هبوبها على تلك الخزامى فكان ذلك أطيب لها ، وأعود بالنماء عليها . « وذهابها » جمع ذهبة أي أمطارها الغزيرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا ما يقوله القائل وهو اجتهاد في اللغة لا نُقِرُّه عليه ، وإنما الصواب الذي يميل اليه القلب . هو الوقوف عند حدود ما قال علماء اللغة الثقات من أن « المرج » بمعنى المرعى فارسيٌّ معرَّب وما سواه أطلقوا فيه القول فيكون عربياً . وكذلك العسكر بمعنى الجند والجماعة من الناس فارسي معرب . وما سواه من المعاني التي ذكروها للعسكر العربي فهي معانٍ عربية .

وما ذكرناه من المواد « مرج ، بزر ، عسكر » إنما هو مثال لما سميناه « أبناء العَلاّت في اللغة » والاّ ففي موادّ كلمات اللغة أشباه ونظائر لما ذكرنا تكاد لا تعدّ ولا تحصى . والفطِن لا يعدم الانتباه الى أمثالها : ككلمة « سُكَّر » فهي معربة من « شَكَر » الفارسية التي لها أبناء ومشتقات . وهناك « سَكْر » العربية وأصل معناها في اللغة « السَّدّ » ولها أبناء ومشتقات أيضاً .

فالفريقان من مشتقات « سُكَّر » الفارسية و « سَكْر » العربية يؤلفان أسرةً أو عائلةً لغوية واحدة كلماتها أبناء علاّت وهكذا وهكذا .

***

« استدراك »

على كلمة « المرج » أعربية هي أم أعجمية ؟

قال بعض الفضلاء وقد ارتاب في عجمة المرج : « نحن نظل على عجمتها الى أن تظهر حجة جديدة على عروبتها . وليس النقل عن « ابن سيده » بالذي يجيز لنا أن ننزل عما ورثناه وألفناه » .

وقال آخر : « إن ابن سيده أندلسي ولا اتصال بين الأندلس وشعبها وبين فارس وشعبها حتى يتقارضا الألفاظ » .

وقال ثالث : « ليس النزاع في كون المرج معربة أو لا وإنما النزاع في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن يكون تعريبها عن اللغة الفارسية ومن المستبعد أن يُقبل قول (ابن سيده) في فارسيتها» .

أقول: إن بحثي السابق لم يكن في إثبات كون المرج من أصل فارسي أو أصل عربي، ولا في مناقشة اللغويين في الألفاظ المعربة، وإنما هو كما يعرف من عنوانه حول أبناء العلات في الأسر اللغوية كما في البشر . وجاءت كلمة المرج مثالاً في ذلك. وعزوتُ عجمتها الى الجزء والصفحة من مخصص ابن سيده . ولعمري إنه لم يسؤني التشكيك في عجمتها بل ربما كنت أتمنى أن تقوم الأدلة على عروبتها وعروبة جميع معربات اللغة . ولكن لابن سيده ومخصصه في نفسي منزلة أعتقد معها أن مثل هذا الرجل الثقة الثَّبَتِ لا يجرؤ على دعوى فارسية المرج . ومثله لا ينتات على اللغة، وهو عُزَيْقها المُرَجَّب . وجُذَيْلها المحكَّك .

لذلك كله أقف مع المعترضين موقف المخالف لهم . المستضعف لأدلتهم . ولما أردت أن أناقشهم في دعواهم كان أول ما امتدت يدي اليه كتاب «المعرَّب» للجواليقي فإذا هو يقول في صفحة (٣١٠) طبع دار الكتب المصرية المحققة بقلم الأستاذ أحمد محمد شاكر ما نصه: «والمرج فارسيّ معرّب قال الليث: المرج أرض واسعة فيها نبت كثير تُمرج فيها الدواب . وجمعها مروج وأنشد:

«رعى بها مرج ربيع مُمرَجا» انتهى

فأصبح في الكف نصان على عجمة المرج وكونها من أصل فارسي: أحدهما لابن سيده، والآخر للجواليقي .

وقد وقع الشك في قول ابن سيده لأندلسيته وبعده عن بلاد الفرس ومجالسهم أما الجواليقي فأمره على العكس . ولم نعثر على قول في عروبة «المرج» سوى ما قرأناه في «شفاء الغليل» للخفاجي: فقد أشار الى الأمرين عجمته وعروبته . وهذا نصه «مَرْج: قيل هو معرَّب أو هو عربي . وهو ما تمرَج الدواب فيه»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقوله « أو هو عربي » يحتمل أن يكون جاء به من عند نفسه ، كما يحتمل أن يكون قولُه بعروبته منقولاً عن غيره . على ان ذكر الخفاجي للمرج في كتابه الخاص بالمعربات يشير من طرف خفي الى أنه يُرجّح عُجمته ولذا عدّه في « المعربات » . وقد استفدنا من « الخفاجي » خلاف ما كنا نعتقد من أن عربية المرج لم يصرح بها أحد ، فقد صُرّح بها ولكن المصرِّح ـ أعني الخفاجي ـ متأخر أعني من رجال القرن الحادي عشر للهجرة بينما « ابن سيده » و « الجواليقي » كلاهما عاش في الخامس والسادس للهجرة [1] وقدمُها في اللغة أرصخ من قدمه كما ان قِدَمها أصلح للاحتجاج من قِدَمه . وقالوا في ترجمة الجواليقي كما في ابن خلكان إنه كان متدينا ثقة كثير الضبط يُكثر من قول « لا أدري » وأنه كان من مفاخر بغداد . ومثله ما جاء في بغية الوعاة : « انه كان متثبتاً صدوقاً لا يقول الشي إلا بعد التحقيق » .

وابن سيده إن شك المشككون في الاعتداد بقوله لبُعده عن بلاد فارس واستبعاد مثافنته أهلها ومعاشرتهم والأخذ عنهم ـ فان « الجواليقي » الذي قال « إن المرج فارسي معرب » قد أجمع المترجمون له على أنه عاش في بغداد جارة فارس ، لا بل تكاد ـ بما توطّنها من أبناء فُارس ـ تعد وَسَطاً فارسيا ، وناهيكم البرامكة وأبهتهم ومجالس الأدب في قصورهم . وقد أخذ الجواليقي اللغة والأدب عن أئمة زمنه . وأشهرهم « ابن الخطيب التبريزي » شارح الحماسة وتلميذ المعرّي : فالجواليقي عاش عمراً مع التبريزي الفارسي ، وخلفه في تدريس اللغة والأدب في المدرسة النظامية ، والأرجح أن عجمة « المرج » إنما اقتبسها الجواليقي

(١) توفي ابن سيده سنة ٤٥٨ هـ والجواليقي سنة ٥٤٠ هـ وولادته كانت سنة ٤٦٥ هـ وتوفي الخفاجي سنة ١٠٦٩ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منه ـ أي من التبريزي ـ : فقد قال مترجموه إنه « أي الجواليقي » روى عن التبريزي في كتابه « المعرب » مراراً .

هذا نموذج ممن عاشرهم الجواليقي من أساتيذه الفرس أما من عاشرهم من تلاميذه الفارسيين فأشهرهم أبو سعد السمعاني المروزي صاحب كتاب الأنساب . وقد توفي في « مرو » من بلاد فارس بعد أن قضى زمناً في بغداد يتلقى اللغة والأدب عن أستاذه الجواليقي مع تلاميذه الآخرين الذين منهم ابن الجوزي وابن الأنباري وغيرهما . فاذا كان للمشككين في فارسية المرج مصدر أو حجة وراء ذلك له اتصال بفارس وأهلها ولغتها فحسبهم وحسبنا هذا الجواليقي وكتابه « المعرَّب » الذي قال فيه القائلون : « إنه لم يعمل في جنسه أكبر منه » .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net